

# الحوار

حوارات... مناقشات... حوارات

- -نظرة في مجموعة فتاة عادية..... عوض سعود عوض
- -ثلاث روايات .....ميخائيل عيد
- -كتاب الواقعية الاشتراكية .....د. عبده عبود
- -أمل دنقل والماضي .....عماد الدين شاتيلا
- -المبدأ الحوارى .....فؤاد سليم أبو زريق

## قراءات ... قراءات ... قراءات

### نظرة في مجموعة "فتاة عادية"

### للأديب شوقي بغدادي

- يكتب عن أناس عاديين لا يستثيرون الآخرين للكتابة عنهم.
- الحب شكل الموضوع المطروق لأكثر من نصف القصص
- تتميز بعض قصص المجموعة بنوع من الطرافة والسخرية والدعابة المرة التي تفرّد بها الكاتب
- اعتمدت معظم قصص المجموعة على التقطيع
- استطاع الولوج إلى عالم الإنسان الداخلي في العديد من القصص
- تشير قراءة القصص إلى ثنائية واضحة، ثنائية الظالم والمظلوم، السلطة والشعب.
- ركزت قصة فتاة عادية على وصف جزئيات المكان في مدينة دمشق القديمة

\*\*\*

بهذه العناوين استهل قراءتي لمجموعة قصص "فتاة عادية" للأديب شوقي بغدادي الذي تمتع بحضور ثقافي منذ الخمسينات، وها هو يتحفنا بهذه المجموعة الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩٩، والتي تحتوي على عشر قصص، كتبت جميعها كما جاء في التنويه بين عامي ١٩٨٤-١٩٩٣ باستثناء القصة الأخيرة "أما شباب" التي كتبت عام ١٩٦١، وبما أن هذه القصة غير مدرجة بين القصص، لأن القصة الأخيرة هي "تنهيدة".

من عنوان المجموعة نجد أن الشاعر والقصص شوقي بغدادي يكتب عن أناس عاديين، قد لا يستثيرون الآخرين للكتابة عنهم، فهو في هذا المجال يعبر عن الشرائح الأكثر فقراً في المجتمع، الناس المسحوقين بفعل الظلم الاجتماعي والسلطوي، يغلف قصصه بخيط من الحب يجمع بين معظمها، فإذا استعرضنا القصص فإننا نجد أكثر من نصفها تشير إلى ذلك بشكل أو بآخر.. في قصة "فتاة عادية" نجد نوعاً من الغزل والتفاهم بلغة العيون ما بين فاطمة وعسان، هذه اللغة يفهمها الطرفان حتى القارئ يستطيع أن يبني على ذلك بعض الاجتهادات وتخيل إمكانية تطور هذه العلاقة، بعد أن أعجب بتصرفاتها، هزته واستثارته من الداخل، بدا يحس بأنها ليست فتاة عادية كما كان يظنها. في اليوم الثاني يصارحها وهو مدفوع برغبة من يود أن يقول شيئاً هاماً من الصفحة ٢١ ما يشير إلى ذلك:

"أي نوع من النساء أنت يا أنسة فاطمة! وأية مدينة تلك التي تنتمين إليها! لقد حيرتني بالأمس، وها أنت تحيريني اليوم، وأية فاطمة يجب أن أرى، ومع أي منهما يحسن بي أن أتعامل!"

في قصة "تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها" نتحدث عن جانب آخر من جوانب الحب، الغيرة التي تقتل الإنسان، اللغز الذي يصعب تفسيره حين يرى زوجته التي تصغره بثمانية عشر عاماً تتجمل وتعيد تسريح شعرها في اليوم مئات المرات.

وفي قصة "اليلي والأسلحة" نتحدث عن حب ليلي للشباب من خلال لقائهما به مرات عدة وخروجها معه، لكن شيئاً ما في داخلها يتغير حين تكتشفه على حقيقته، تتباعد عنه لأنها بدأت تخافه، أما في قصة "الدموع" فإنهما يكتشفان حبهما من خلال دموعهما، إذ ينجح الشاب في استدراج دموعه والبكاء، فيدهل حين تدله دموعه على صدق حبه من الصفحة ٩٦:

"يا الهي... لقد كنت أبكي حقاً، بكل صدق تجرّفني أحزان سرية، لم أدرك من أين وانتني كلها دفعة واحدة، فأراك حياي صادقة مثلي، وجميلة إلى أقصى حد وأنني اكتشفت من خلال الدموع أنني أحبك حقاً، وإنه لم يكن ذلك ممكناً إلا في مطهر الدموع".

في قصة "صديقي الشرطي حمدان" يورط الحب الشرطي الذي يقيم علاقة ممنوعة مع أحد السجناء، قيل له إنه أديب، لأنه بحاجة إلى من يصحح أخطائه ويكتب له رسائل غرامية إلى حبيبته، هذه اللقطة دفعت الشرطي إلى المغامرة، حين وثق المعاملة معه، فقادته هذا الموقف الإنساني إلى السجن من الصفحة ١٠٣ المقطع التالي:

"المحتة بعد عدة أشهر، أو هكذا خيل إلي، وكنا عاندين إلى المهجع الكبير الذي انتقلنا إليه مجدداً من فسحة "التنفس" في الوقت الذي كان يجتاز الممر المجاور رتل من السجناء العسكريين، حين دفعني زميلي بيده منيهاً هامساً:

انظر.. أليس هذا هو الشرطي حمدان؟"

أما القصة الأخيرة فهي تتحدث عن الحرمان والعطف اللذين يصلان إلى درجة الحب من خلال قراءة تعبيرات الشاب للفتاة والعكس صحيح، لهذا تتوارد أفكارهما ويقتربان من لحظة الحب والبوح، كل ذلك في قصة "تنهيدة" التي تلقي بهذه الظلال دون

أن تعمقها".

تحتوي القصة على نوع خفي من الطرافة والتهكم، لتقترب من الأدب الساخر، تكتشف ذلك في معظم القصص، فالفتاة العادية لم تكن كذلك، بل كانت عظيمة ورائعة وغير عادية دربتهم على احترام التاريخ، وقادتهم عبر طرق وأزقة دمشق القديمة لتبين لهم عظمة الماضي، فدللت على أنها فتاة تستحق الحب والاحترام.. أما قصة "الانتقام لشوارب أبي حاتم" فتظهر الطرافة في الشوارب ذاتها من حيث الشكل، وفي الموقف الذي تعرض له، وفي قصة "تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها" فإن تصرفات الزوج ومحاولته الحصول على دليل لاتهام زوجته فيها سخريّة مرّة. كما نجد المفارقة وقمة الطرافة في قصة "الأهمية الكبرى للأحذية" التي تسلط الضوء على الأخطاء المرتكبة في البروتوكولات الراقية، يراها أبو معتز أنها أخطاء جسيمة لا يجوز السكوت عنها، وأخزها الحذاء الإيطالي الذي سافر الملك وهو ينتعله إلى بلاد الثلج والمطر والبرد، علماً أن الحذاء يصلح للصحف والنزهات مما أدى إلى احتجاج أبي معتز، هذا الموقف وغيره يمثل شيئاً من الفكاهة المبطنّة، التي أضفت على القصة شيئاً من الطرافة، حتى إن إصابته

بالديسك، وإحالاته على التقاعد يمكن أن نلاحظها من هذا المنظور. نجد مثل هذه الغرائبية في قصة "البلي والأسلحة" إذ تكره الفتاة الصغيرة المحبة من تحب لأنها راته يحمل سلاحاً، يتغير شيء ما في داخلها. ونلاحظ شيئاً من السخرية اللاذعة في قصة "الرهان المفتوح" إذ يترهن ثلاثة موظفين على إن كان أبو فاضل سينتحر أم لا، فهل بعد هذا مرارة. في قصة "سترة الخاكي" نلمح ذلك في موقف الشاب الذي يرتدي بذلة الخاكي" وفي الشاب الآخر المراهق والفتاة.. وقبل ذلك في قصة "الدموع" إذ تعيد إليه دموعه صفاء، فيكتشف أنه يجبها من خلال لحظة الصفاء، التي جعلته يحس بأنه صادق، أما في قصة "صديقي الشرطي حمدان" فإن المفارقة تأتي من كونه مسوولاً فظاً عن السجناء يعاملهم بقسوة وحشية، يتحول في لحظة ما إلى عاشق، ينسى واجبه كسجان وعسكري ويتعامل مع السجن "شبين" بشيء من المودة والحب... في قصة "تنهيدة" يقرأ الشاب تعبيرات الفتاة، وتقرأ الفتاة تعبيرات الشاب، كل منهما يغوص إلى أعماق الآخر وفي لحظة يفترقان، لتجد أن شيئاً من توارد الأفكار والسخرية قد ربطت بينهما، فكل منهما يندب حظ الآخر، وفي النهاية هو يندب حظه، لأنه لم يحقق ذاته في الآخر.

لهذا أقول بأن تطعيم القصص بشيء من السخرية والتهكم والفكاهة المرّة إلى حد غير معقول، كل ذلك يعطي خصوصية لقصص الأديب شوقي بغدادي، الذي يمكن اعتباره من القاصين الساخرين، الذين يحاولون بناء فن قائم بذاته على النقد عن هذا الطريق، إذ كيف يلائم الأديب ما بين الطموح والواقع؟ ما بين الفساد والتوق إلى الجمال والحب؟ وبينهما فاصل كمجرتين كل واحدة تنتمي إلى عالم! كما أن ضغط الحياة، والظلم والفوارق الطبقيّة تعطي لهذا الأدب تأشيرة كينوننتة، إضافة إلى ميل الإنسان الطبيعي إلى الفكاهة والسخرية.

إن الموضوعات العديدة التي عالجهها الأستاذ شوقي بغدادي في هذه المجموعة وفي غيرها هي موضوعات الإنسان العادي، الفروق الاجتماعيّة، الفقر والزواج والنظرة إلى المرأة، والظالم والمظلوم.. عن الشريحة التي يتعامل معها، ليلقي الضوء على هذه الجوانب وغيرها، لكن السؤال الذي يبرز، كيف عالج قصصه؟

بداية أقول بأن نمط قصصه تميل إلى القصص التقليدية على الرغم من استخدام بعض أساليب القص الحديثة، الرمز والمنولوج الداخلي.. التي سأتي على ذكرها.

اعتمدت معظم القصص على التقطيع إلى عناوين فرعية، كما في القصص التالية:

-الانتقام لشوارب أبي حاتم" التي قسمت إلى عناوين فرعية هي:

معلومات أولية

شهادة الابن

محاولة في تفسير أسباب الانتحار

معلومات إضافية

-"سترة الخاكي" قسمت إلى:

تداعيات محتملة للشخصيات، وهذا العنوان جزئياً إلى العناوين التالية:

الفتاة الصغيرة

ذو السترة الخاكية

الفتى المراهق

وقبل النهاية تشير القصة إلى عناوين فرعية أخرى تتحدث عن الفضيحة وهي:

الفضيحة الأولى

الفضيحة الثانية

الفضيحة الثالثة

وتنقسم قصة "تنهيدة" إلى:

الطرف الأول

الطرف المقابل

الطرف الثالث

أو التقطيع إلى مجموعة أرقام كما في قصة "الرهان المفتوح" المقسمة إلى اثني عشر ترقيماً، أو بوضع نجوم بدل الأرقام والعناوين كما في القصص التالية:

## الموقف الأدبي - ١١٧

## الأهمية الكبرى للأحذية ليلي والأسلحة

الميزة الظاهرة في القصص، اعتمادها على تسلسل الأحداث، إذ تبدأ من نقطة معينة لتنتهي معتمدة على تنامي السرد وتوافقه مع التسلسل الزمني إلى النهاية.

يلاحظ في القصص استخدام ضميري المتكلم والمخاطب والمزج أحياناً بينهما في قصة واحدة كما في قصة "الانتقام لشوارب" "أبو حاتم" وأحياناً تعتمد القصة على أحدهما، فمن القصص التي اعتمدت على ضمير الغائب هي:

-فتاة عادية.

-الأهمية الكبرى للأحذية

-ليلي والأسلحة

-الرهان المفتوح

-سترة الخاكي

-الدموع

ومن القصص التي استخدمت ضمير المتكلم أو التي غلب على أحداثها هي:

-الانتقام لشوارب "أبو حاتم"

-تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها

-صديقي الشرطي حمدان

-تهيدة

مزج الكاتب في هذه القصص الماضي مع الحاضر، فقد استخدم الفعلين في جميع قصصه، لكن يلاحظ أن القصص التي تتحدث بضمير الغائب يغلب عليها الفعل الماضي، كما في قصة "فتاة عادية" أما القصص التي تتحدث بلسان الكاتب فقد غلب على بعضها استخدام الأفعال المضارعة كما في قصة "تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها" وهي قصة تتحدث بلغة الأنا.

الرمز واضح في القصص، إذ إن معظم الشخصيات يمكن اعتبارها رموزاً، على سبيل المثال المسلحون الثلاثة في قصة الشوارب يرمزون إلى السلطة، أما أبو حاتم فألى الرجل الذي يعزز برجولته، والسلطة كما هو معروف تجرد الناس من رجولتهم وتحاول ترويضهم، بحيث لا يبدو على أي منهم الاعتداد بالنفس، لتفقدهم أي قدرة على المقاومة والتغيير مستقبلاً، ولهذا نجد أن دور الصحافي الذي يكلف بكشف الحقائق هش. ومثل هذا يمكن تطبيقه على قصة "تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها" إذ يمثل زوجها السلطة، بينما تمثل الزوجة المشكوك في تصرفاتها وشخصيتها الطرف المحكوم، تنصاع لأوامره، يغلق عليها الباب، يراقب الهاتف، وعلى الرغم من كل المراقبات التي أحاط بها شريكة حياته، فإنه لم يستطع إدانتها ولو مرة واحدة، علماً أنه أدانها في داخله، فهل تمثل الزوجة الشعب المقموع؟

أما في قصة "الأهمية الكبرى للأحذية" فإن أبا معتز يمثل الخنوع، حتى إنه بسبب كثرة خنوعه وانحناءاته يصاب بالأم الظهر، وفي قصة "ليلي والأسلحة" تمثل ليلي الفتاة المحبة التي تطلب الأمن والسلام، بينما يمثل الشاب مراد الذي أحبها السلطة، وهذا واضح في حمله للسلاح، في وقت لا حاجة للداخل به، وهذا ما أدى إلى ترويع المواطنين، وهذا يضطره إلى استخدام سلطته على محبوبته، لكن مشاعر الحب تفارقها، إذ تبين أن هذا السلاح لا يستخدم على وجه حق، من الصفحة ٦١ هذا الاستشهاد:

قالت له:

-لماذا تحمل هذا السلاح؟!

تضحك الشاب قائلاً:

-هل أخافك السلاح؟! إنه واجب كما تعرفين أن أحمله من حين لآخر..

فقالت محتجة:

-لكنني لم أرك تحمله من قبل أبداً

-يجوز أنك لم تصادفيني به.. ولكنني حملته عدة مرات..

فقالت وهي تقفز على الدرج مبتعدة:

-لا تحمله إذن عندما تراني..

ثم توارت عن الأنظار..

في قصة "الرهان المفتوح" يمثل المدير غالب بك السلطة بينما أبو فاضل الشرائح المسحوق التي تضطر إلى الخضوع والخنوع أو الانتحار، بينما يبقى المدير مسيطراً لا أحد يحاسبه، أو يتدخل بأموره أو

يسأله. أما في قصة "سترة الخاكي" فالشخصيات هنا رموز:

عفاف رمز للفتاة الطاهرة، التي تحولها الظروف والممارسات العسكرية غير الإنسانية إلى فتاة شاذة ساقطة.

الشاب الذي يرتدي بذلة الخاكي، يحاكي ببذلته السلطة.

أما الشرطي حمدان فإنه يمثل السلطة وقمعها في البداية، ويمثل بعد معرفته بالسجين الأديب القوة العسكرية التي تقف إلى جانب إنسانية المواطنين الشرفاء، لهذا يعاقب من قبل السلطة العسكرية لأنه أحل بشروط وظيفته. أما الأديب فهو المحرض على التغيير..

إن قراءة القصص تشير إلى ثنائية واضحة، ثنائية الظالم والمظلوم، السلطة والشعب، الباطل والحق وهكذا.. أصل الآن إلى قدرة الكاتب على التسلل إلى داخل النفس وانطاقها عن طريق المنولوج الداخلي، إذا استطاع أن يعطينا صورة عن الأحداث ويكشف لنا العالم الجواني للشخصية. من القصص التي وظفت ذلك، قصة "تقرير داخلي عن زوجة مشكوك في أمرها" في بدايتها يحاكي ذاته، ويستعيد تصرفاتها ويتساءل إن كانت بريئة أم لا، وفي نيته إدانتها، يقارن بين أقوالها وأفعالها، ويستمر في جمع الدلائل لإدانتها، وعلى الرغم من قدرته على الوصول إلى ذلك، فإن شكوكه وانفعالاته الداخلية تكشف عن ذاته، وتستمر القصة في ذلك حتى نهايتها حين يفاجأ بنظراتها وجرأتها ومراوغتها، ليشبهها بالنساء الخبيرات..

في قصة "إيلي والأسلحة" وفي الصفحة ٥٤ يتحدث الشاب عن ذاته وانفعالاته، وتحدث ليلى في سرها عن ذلك، كل واحد يحاول استجلاء الآخر واكتشافه. ومثل هذا يظهر في قصة "سترة الخاكي" في الصفحة ٧٨، حين يحاكي ذاته، فيكتشف أنها فتاة صغيرة السن، ليس لها تجربة سابقة، لن تجرؤ على الاعتراض، لأن سترته كافية باقناعها بأنه رجل مهم، حتى الفتى المراهق يعود إلى دواخله، لاحظ ذلك في الصفحتين ٧٩ و٨٠ أما القصة الأخيرة "تهيدة" خاصة ما يخص الطرف الأول والطرف المقابل، فإنهما يقرآن تعابيرهما وحركاتهما من خلال عالم كل منهما الداخلي.

أما الحوار فهو مناسب يختلف من قصة لأخرى، ومع ذلك يمكن القول بأنه يلبي حاجة النص خاصة عندما تعتمد القصة على السرد وتتعد قليلاً عن كشف العوالم الذاتية، يعير الحوار ضرورياً في بعض الأحيان، وأرى هنا لا حاجة للاستشهاد ببعض الحوارات إن كانت قصيرة أو طويلة، فقد جرى الاستشهاد في هذا المقابل بحوار ما بين ليلى ومراد يمكن العودة إليه، وقراءة تعبيراته وجمله واعتماده على المفردات البسيطة التي تؤدي الغرض، لكنها كلمات وجمل فصيحة.

أصل الآن إلى النقطة الأخيرة التي سأقدمها في عرضي هذا، وهي المكان وتوصيفه. لا شك بأن الكاتب اعتنى بتسمية بعض الأمكنة الموجودة في دمشق، لأن طابع القصص هي شامية، ومكانها دمشق على الأغلب، في هذا المجال أجاد في توصيف المكان في القصة الأولى، إذ تسير فاطمة بهم إلى الحارات القديمة، تشرح لهم بعض أسماء الأزقة والشوارع والحارات، وتقوم بتوصيف البيت الشامي، بداية من الدهليز إلى البراني حتى أرض الديار والغرف وهكذا.. من هذه الأوصاف اقتطع المقطع التالي من الصفحتين ١٥٤ و١٥٥:

"وما كادوا يوغلون في طريق القنوات حتى وجدوا فاطمة تقف في مطلع زقاق متفرع إلى يمين الطريق، تدعوهم إلى خوضه وراءها، وهم يتجهرون للاقترب منها وسماع صوتها:

-هذا الزقاق يدعى زقاق التعديل، وقد سمي كذلك باسم المسجد الذي ترونه أمامكم والمسمى "مسجد التعديل".

فقال لها غسان وقد لفت انتباهه منظر آخر:

-هل تعرفين يا فاطمة لمن هذا البيت الكبير الذي تحتل واجهته قسماً كبيراً من مدخل الزقاق على الجانبين؟

-نعم.. هذا بيت "بغمور. وهي أسرة عريقة، رحل معظم رجالها إلى الخارج أو إلى الأخرى.."

أما الوصف المعادي فإن القاص يصف بعض الشخصيات، مثل وصف شخصية فاطمة والشخصيات الأخرى الواردة في القصة الأولى، وشخصية أبي حاتم في القصة الثانية، ووصف الزوجة وزوجها في القصة الثالثة، وفي القصة الرابعة وصف أبي معتز وهكذا حتى نهاية القصص.

أخيراً فإن مجموعة "فتاة عادية" هي من المجموعات الهامة التي أصدرها اتحاد الكتاب العرب، ولا أعتقد أنني بهذه العجالة قد وفيتها حقها من النقد.

**عوض سعود عوض**

□